

روح المعاني

قال الأعمش : فبذلك تفتخر بنو العباس ويقولون فيهم نزلت إنك لاتهتدى من أحببت ولكن
إني يهتدى من يشاء هوئ النبي صلى الله عليه وسلم أبا طالب وشاء الله تعالى عباس بن عبد
المطلب وأصرح من هذا ما أخرجه أبو الشيخ وأبو النعميم في الدلائل وابن مردويه وابن عساكر
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس وكان يرسل معه
عمه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت وإن يعصمك من الناس فأراد عمه
أن يرسل معه من يحرسه فقال : يا عم إن الله قد عصمنى فإن أبا طالب مات قبل الهجرة وحجة
الوداع بعدها بكثير والظاهر اتصال الآية وعن بعضهم أن الآية نزلت ليلاً بناءً على ما أخرجه
عبد بن حميد والترمذي والبيهقي وغيرهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي
صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت وإن يعصمك من الناس فأخرج راسه من القبة فقال : أيها
الناس انصرفوا فقد عصمنى الله تعالى ولا يخفى أنه ليس بنص في المقصود والذي أميل إليه جمعا
بين الأخبار أن هذه الآية مما تكرر نزوله وإن الله تعالى أعلم والمراد بالعصمة من الناس حفظ
روحه E من القتل والهلاك فلا يرد أنه صلى الله عليه وسلم شج وجهه الشريف وكسرت رباعيته يوم
أحد ومنهم من ذهب إلى العموم وأدعاه أن الآيات إنما نزلت بعد واحد واستشكل الأمران بأن
اليهود سموه E حتى قال : لازالت أكلة خبير تعاودنى وهذا أوان قطعت ابهرى وأجيب بانه
سبحانه وتعالى ضمن له العصمة من القتل ونحوه بسبب تبليغ الوحي وأما ما فعل به صلى الله عليه
عليه وسلم وبالانبياء عليهم الصلاة والسلام فللذب عن الأموال والبلاذ والأنفس ولا يخفى بعده
وقال الراغب : عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حفظهم بما خصوا به من صفاء الجوهر ثم
بما أولاهم من الأخلاق والفضائل ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ
قلوبهم وبالتوفيق وقيل : المراد بالعصمة الحفظ من صدور الذنب والمعنى بلغ وإن الله تعالى
يمنحك الحفظ من صدور الذنب من بين الناس أى يعصمك بسبب ذلك دونهم ولا يخفى أن هذا توجيه
لم يصدر إلا ممن لم يعصمه الله تعالى من الخطأ ومثله ما نقل عن علي بن عيسى في قوله سبحانه
: إن الله لا يهدي القوم الكافرين حيث قال : لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والألطف إلى الكفر
بل إنما يهديهم إلى الإيمان وزعم أن اذى دعاه إلى هذا التفسير أن الله تعالى هدى الكفار
إلى الإيمان بأن دلهم عليه ورغبهم فيه وحذرهم من خلافه وأنت قد علمت المراد بالآية على أن
في كلامه ما لا يخفى من النظر وقال الجبائي : المراد لا يهديهم إلى الجنة والثواب وفيه غفلة
عن كون الجملة في موضع التعليل وزعم بعضهم أن المراد أن عليك البلاغ لا الهداية فمن قضيت
عليه بالكفر والوفاة عليه لا يهتدى أبداً وهو كما ترى فليفهم جميع ما ذكرناه في هذه الآية

وليحفظ فاني لأظن أنك تجده في كتاب .

وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم رسالته على الجميع وإيراد الآية في تضعيف الآية الواردة في أهل الكتاب لما أن الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها خصوصا ما يتلوها من النص الناعى عليهم كمال ضلالهم ولذلك أعيد الأمر فقال سبحانه : قال يا أهل الكتاب والمراد بهم اليهود والنصارى كما قال بعض المفسرين وقال آخرون : المراد بهم اليهود فقد أخرج بن إسحق وابن جرير وغيرهما عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : جاء رافع ابن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حريملة فقالوا : يا محمد ألسن تزعم أنك على